المحاضرة الأولى: مدخل لمنهجية البحث العلمي.

مقدمة:

لعل أهم ما يحتاجه الباحث، وطالب العلم في المراحل الدراسية العليا، الطريقة التي يستطيع من خلالها جمع مادته الأولية، وتحضيرها، وإعدادها، بما يناسب موضوع بحثه، ثم كيفية استخدامه لهذه المعلومات في بنائه المعرفي الذي يسعى لإشادته سواء أكان هذا المشروع: بحثا جامعيا، أم رسالة دبلوم دراسات عليا أم أطروحة دكتوراه، أم بحثا مرسلا إلى دورية مختصة، أم كتابا في أحد مجلات المعرفة....الخ، ومن هنا فإن منهجية البحث تعتبر العلم والفن الأهم والرئيس لمن يعمل في مجال إنتاج المعرفة.

أولا:مفهوم منهجية البحث العلمي:

إن ما يميز البحث العلمي الأكاديمي عن غيره هو اعتماده على مناهج البحث العلمي التي تتميز بالدقة والعقلانية والتنظيم المنطقي، والابتعاد عن تلك العشوائية وغموض الهدف، ولكل علم مناهجه وتقنياته الخاصة به، والناسبة لطبيعة أهدافه، كما أن هناك مناهج كمية ونوعية، وأخرى نظرية وعملية، وفي كل أعمالنا الأكاديمية نحتكم إلى المنهجية، منهجية البحث الوثائقي، ومنهجية التفكير والمناقشة، وتسيير الحوار، ومنهجية الاتصال والتفاوض، كلها تهدف إلى فكرة النظام والعمل العقلاني، هذا ما يجعل المنهجية لا غنى عنها في كل التخصصات العلمية.

1. **تعريف منهجية البحث العلمي:** هناك عدة تعريفات لمنهجية البحث العلمي نذكر منها:

- **منهجية البحث العلمي:** تعني الإستراتيجية المتبعة عند إجراء البحث أو الرسالة العلمية، وعلى الباحث أن يختار أنسب الطرق التي تعينه على تنفيذ البحث، ولقد سهل المشرع ذلك الأمر من خلال وضع مجموعة من الإجراءات المنظمة للبحث.
- **منهجية البحث العلمي:** عبارة عن خطوات مدروسة بعناية؛ للوصول إلى الحقائق المرتبطة بموضوع البحث العلمي.
- **منهجية البحث العلمي:** بأنها فن التسلسل والتنظيم الدقيق للأفكار العديدة، وذلك من أجل اكتشاف الحقيقة وبرهنتها أمام الآخرين، فهي الطريق المؤدي لاكتشاف الحقائق في العلوم، وذلك بمجموعة من الإجراءات الذهنية للباحث، فهو أسلوب هادف ودقيق ومنظم، يقوم باختياره التميز بالموهبة والإبداع، للكشف عن حلول لمشاكل في ظاهرة معينة.

2. **أهمية منهجية البحث العلمي:** تكمن أهمية منهجية البحث العلمي في:

- باعتبارها أساس البحث العلمي الذي يعد بحثا منظما ومتسلسلا وليس بمحض الصدفة، وأنها ثمرة نشاط عقلي مبذول بكل دقة وتخطيط وتوثيق للنتائج؛

- تعد المنهجية نظرية كونها تعتمد على النظر لغاية إدراك النسب والعلاقات القائمة بين الأشياء، وكونها تخضع لكل من الاختبار والتجربة؛
- يعتمد البحث العلمي على مبدأ ثابت وهو التجارب والفرضيات، وذلك لكونه في حالة افتقاره لذلك يفتقد خاصيته العلمية؛ يوصف بأنه بحث تفسيري؛ وذلك لقيامه بتفسير الظواهر والأمور من خلال النظريات؛
- يصنف بأنه بحث حركي وتجديدي يعتمد على تجديد المعرفة وإضافتها من خلال الاستبدال المستمر للمعرفة القديمة.

3. أهداف منهجية البحث العلمي: أما أهداف منهجية البحث العلمي فتتمثل في:

- الإتيان بالأحكام الجديدة لحادثة معينة لم يتم البحث فيها مسبقا؛
- التوصل إلى الاختراعات والاكتشافات غير المسبوقة؛
- السعي إلى تكملة بحث لم يتسنى لأحد الباحثين السابقين إتمامه؛
- تقديم التفصيل المجمل حول كل غامض، وتقديم الشروح والتحليلات؛
- جمع النصوص والوثائق والمسائل العلمية المتفرقة مع بعضها البعض.

ثانيا: البحث العلمي:

1. **مفهوم البحث العلمي:**

يمثل البحث العلمي طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم لاكتشاف حقائق جديدة، أو التثبت والتحقق من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط بينها أو القوانين التي تحكمها وبما يسهم في نمو المعرفة الإنسانية. إنه شيء يباشره الأفراد بنظام لإيجاد مخرجات بطريقة منطقية لزيادة المعرفة. إنه طريقة منظمة لإيجاد تفسيرات لظواهر اجتماعية، أو توضيح حقائق لم تفهم بصورة واقعية.

2. **تعريف البحث العلمي:**

حسب منظمة اليونسكو **Unisco** فيعرف البحث العلمي بأنه "النشاط الذي يقوم به الإنسان الباحث، من خلال محاولات منظمة لكي يدرس بموضوعية الظواهر القابلة للملاحظة بقصد اكتشافها وفهمها فهما كاملا وفهم أسبابها".

كما يعرف أيضا بأنه"التحري عن حقيقة الأشياء ومكوناتها وأبعادها ومساعدة الأفراد أو المؤسسات على معرفة محتوى أو مضمون الظواهر التي تمثل أهمية معينة لديهم أو لديها، مما يساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأكثر إلحاحا وذلك بواسطة استخدام الأساليب العلمية والمنطقية".

3. أهداف البحث العلمي:

أ. **وصف الظواهر:** هو الوصف المحدد لملامح الأشياء والظواهر، فهو جمع البيانات المتعلقة بالظواهر والأهداف وتصنيفها وترتيبها، مثل: إعداد العاطلين عن العمل، ومعدلات الولادة.

ب.**تفسير الظواهر:** تتضمن اكتشاف الظواهر والأسباب التي أدت إلى حدوثها ويعتمد على التحليل والمقارنة والربط بين العناصر المختلفة للتوصل إلى معرفة الأسباب، والوصول إلى عدة تساؤلات مثل: لماذا؟ وكيف؟

ج. **التنبؤ بالظواهر:** هي محاولة التنبؤ بما سيكون عليه حدث معين في المستقبل مثل: التنبؤ بمعدلات البطالة، التنبؤ بحجم المبيعات.

ويرتبط التنبؤ ارتباطا وثيقا بمدى ثبات الظواهر موضوع الدراسة. وقد يساعد تفسير الظواهر في التنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل والتعامل معه واستثماره بما ينفع.

د. **الضبط أو السيطرة على الظواهر:** ويعني التحكم في العوامل التي تحكم الظواهر وتؤدي إلى وقوعها أو منعها. ويعتبر التحكم والضبط الهدف النهائي للعلم والذي سيعمل على زيادة قدرة الباحث في التحكم بالظواهر وضبطها وتطويعها وتحديد العلاقات التي تربط بين الأشياء.

4. صفات الباحث:

لابد أن يتمتع الباحث بالعديد من الصفات الخلقية والعلمية والتي تساعده على إتمام بحثه ومنها:

أ. صفات الباحث الخلقية:

- أن يتمتع الباحث بالصبر وتحمل المشاق وعدم الاستسلام للمصاعب بسهولة،فالباحث لابد أن يتمتع بعزيمة عالية أمام المشكلات التي يمكن أن تواجهه.
- أن يتمتع الباحث بالتواضع وقبول النقد الموجه من الآخرين.
- أن يتمتع الباحث بصفات الخلق والإبداع والذكاء بحيث يسعى دوما إلى إيجاد بدائل جديدة.

ب. صفات الباحث العلمية:

- أن يكون ملما بموضوع البحث وأن يتمتع بالقدرة على القراءة الواسعة والاضطلاع على أكبر عدد من المراجع والكتب ذات العلاقة بما يحقق موضوع البحث.
- أن يكون مؤمنا بدور العلم والبحث العلمي في حل المشكلات، وبأن ذلك سيحقق السعادة والرفاهية للشعوب.
- أن يكون دقيقا في جمع الأدلة والملاحظات بعيدا عن التسرع في الوصول إلى استنتاجات غير معتمدة على الدليل.
- أن يتمتع بالقدرة على التحليل والتركيب والتصنيف والقدرة على التصور.
- أن يتمتع الباحث بالقدرة على الربط بين الأشياء بذاكرة قوية وحافظة جيدة؛ تمكنه من الربط بين المتغيرات، فإذا تذكر الباحث ماوصل إليه بالأمس فإنه سيتمكن من ربطة بما يصل إليه اليوم.
- أن يتمتع الباحث بالقدرة على التثبت من صحة الفروض، وجمع الأدلة والقرائن التي تعزز آرائه بشكل علمي.
- التجرد العلمي والموضوعية فلا يتحيز لرأي دون دليل، أو يحذف ما لا يتوافق مع آرائه ومعتقداته من أقوال الآخرين.
- الأمانة العلمية إذ لابد أن يشير الباحث إلى آراء الآخرين والمراجع التي استند عليها في بحثه بصدق وأمانة دون إنقاص الآخرين حقهم.

5. الخصائص الأساسية للبحث العلمي:

يتضمن البحث العلمي مجموعة من الخصائص والتي لابد من توافرها حتى يحقق البحث العلمي أغراضه ومنها:

- **هادف** : وتعني وجود أهداف محددة لكل بحث علمي يسعى الباحث لتحقيقها من إجراء بحثه.
- **الموضوعية** : هي الرغبة والقدرة على فحص الأدلة بنزاهة وتجرد والبعد عن التحيز الشخصي والذاتية في البحث، وتأسيس البيانات على الحقائق وليس على المشاعر والتقدير الشخصي، علما أنه كلما زادت الموضوعية في فهم البيانات والاستفادة منها كلما زادت قدرتنا على وصف البحوث على أنها علمية.
- **التثبت** : هي الاستناد على حقائق وظواهر يمكن ملاحظتها والتأكد منها، فمثلا عندما نقول أن طول علي (185) سم نستطيع أن نتأكد من ذلك بواسطة مقياس محدد (المتر) بينما عندما تقول خلوق؟فما هي شروط تحقيق ذلك؟ لذلك لابد من التحديد الإجرائي الدقيق الذي يحدد مفهوم خلوق الذي نقصده؛ لأنه يختلف باختلاف الثقافة التي يتبعها المجتمع، وحتى لا يميل الباحث إلى استخلاص نتائج تتفق وميوله الشخصية.

- **قابلية التعميم** هي القدرة على الاستفادة من نتائج البحث التي توصل إليها الباحث في منظمات أخرى، إنها الخروج بقواعد عامة يستفاد منها في تفسير ظواهر مشابهة. وكلما كانت نتائج البحث قابلة للتعميم كلما زادت قيمة البحث وفائدته، وحتى يمكن تحسين القدرة على التعميم فإن تصميم العينة ينبغي أن يتم بطريقة احتمالية عشوائية تعتمد على المنطق العلمي.
- **قابلية الاختبار** هي استخدام بعض الاختبارات الإحصائية للتأكد والتثبت من صحة أو عدم صحة الفروض التي نتوصل إليها، وذلك استنادا على حقائق وظواهر يمكن ملاحظتها والتثبت منها مثل: المواد تمدد بالحرارة، الفقر يسبب انتشار الجريمة.
- **البساطة والاقتصاد** هي إتباع البساطة في شرح الظاهرة أو المشكلة مناط البحث، واستخدام المقترحات التي توصل إليها الباحث في حل المشاكل الفعلية، فعلى سبيل المثال: إذا كان بإمكان الباحث أن يحدد (3) عوامل تفسر (40%) من المشكلة فإنه أفضل من تحديد (8) عوامل تفسر (45%) من المشكلة. ويمكن تحقيق الاقتصاد عن طريق الفهم الجيد للمشكلة ولأهم العوامل التي تؤثر فيها.
- **الدقة والثقة** تعني الدقة مدى اقتراب النتائج التي يتوصل إليها البحث بناء على البيانات التي تم جمعها من العينة إلى الحقيقة، إنها تعكس درجة التطابق بين ما توصلنا إليه من البحث وبين الظاهرة محل الدراسة. وتعني الدقة احتمال ثقة أن تكون تقديراتنا صحيحة. فعندما نقبل مستوى ثقة معين مثلا أقل أو يساوي (5%) وتكتب بالشكل التالي: ($p<0.05$) فإنها تعني أن نتائج بحثنا سليمة بنسبة (95%)، وأن فرصة احتمال وقوع الخطأ لا تزيد عن (5%)، وهو ما يعبر عنه بالدقة.
- **الاستنباط** هو البدء بالنظريات لاستنباط الفرضيات منها، ثم جمع البيانات وتحليلها لإثبات الفرضيات أو نفيها، أي (ما يصدق على الكل يصدق على الجزء).
- **الاستقراء** هو ملاحظة الظواهر والوقائع الملموسة ثم تشكيل الفروض التي تمثل العلاقات بين الظواهر وجمع البيانات وتحليلها لقبول أو رفض الفرضية للتوصل إلى التعميم (الانتقال من الجزء إلى الكل).
- **المرونة** تمثل المرونة قوائم البحث مع المشكلات المختلفة أي عدم وجود قواعد منطقية جامدة يتبعها الآخرين، بل لابد أن يتمتع بمرونة نسبية خاصة في العلوم الاجتماعية.

- **التنبؤ** تمثل التنبؤ القدرة على البناء والتوقع بما يمكن الحصول عليه في المستقبل مثل: التنبؤ بحجم المبيعات للسنوات القادمة.
- **التنوع** تمثل التنوع قدرة البحث على التلاؤم مع العلوم والمشاكل على اختلافها لأن العلوم قد تختلف عن بعضها البعض وبالتالي تحدد المناهج المختلفة التي يجب اتباعها.

6. **أنواع البحوث العلمية**:

هناك عدة معايير لتصنيف البحوث:

أ. **التصنيف على أساس الطبيعة ودوافع البحث (الغرض)**: يصنف البحث العلمي على أساس الطبيعة إلى بحوث أساسية وبحوث تطبيقية.

- بحوث أساسية(نظرية): يهدف هذا النوع من البحوث إلى الكشف عن الحقائق والمبادئ والنظريات والقوانين العلمية الجديدة التي يمكن أن تساهم في نمو المعرفة البشرية في مجال معين.
- بحوث تطبيقية: والتي تعرف على أنها دراسات التي يقوم بها الباحث بهدف تطبيق نتائجها لمعالجة مشكلات قائمة، واختيار النظريات والفروض لبيان مدى فاعليتها في التطبيق، وبالتالي تظهر العلاقة واضحة بين هذا النوع و النوع الأول.

ب. **التصنيف على أساس النشاط**: يصنف البحث العلمي على أساس النشاط إلى مجموعة من التقسيمات نوضحها فيما يلي:

- البحث التنقيبي والاستكشافي: يتركز المجهود فيه على اكتشاف حقيقة جزئية معينة ومحددة بواسطة إجراء عمليات الاختبارات والتجارب العلمية، ومن أمثلة ذلك البحث الذي يقوم به الطالب في اكتشاف مجموعة المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع ما أو فكرة معينة (البحث عن السيرة الذاتية لشخص معين).
- البحث التفسيري النقدي: وهو الذي يعتمد على الاسناد والتبرير والتدليل المنطقي والعقلي من أجل الوصول إلى حل للمشكلة، وهو يرتبط بتفسير الأفكار لا الحقائق و الظواهر، وهو يناقش الأفكار وينتقدها، والتوصل إلى نتيجة تكون في الغالب الرأي الأرجح بين آراء متضاربة أو الفكرة الصحيحة من بين الأفكار الموجودة مثل تلك القواعد المتعلقة بالشخصية الاعتبارية (الشخص المعنوي).

- البحث الكامل: هذا البحث يجمع بين النوعين السابقين بحيث يكتشف الباحث حقيقة معينة ثم يجمع كل الحقائق المتوفرة حول الموضوع ذاته ويدرسها دراسة تفسيرية نقدية وفي الأخير يضع الحل الذي يراه مناسبا والذي يكون قابلا لإثبات صحته.
- البحث العلمي الاستطلاعي: ويسمى أيضا الدراسة العلمية الكشفية الصياغية، وهو البحث الذي يستهدف التعرف على المشكلة فقط، وتقوم الحاجة إلى هذا النوع من البحوث عندما تكون المشكلة محل البحث جديدة أو عندما تكون المعلومات أو المعارف المتحصل عليه حول المشكلة ضئيلة، وعادة ما يكون هذا النوع من البحوث تمهيدا لبحوث أخرى تسعى لإيجاد حل لتلك المشكلة الجديدة.
- البحث الوصفي التشخيصي: هو الذي يهدف إلى تحديد سمات وصفات وخصائص ظاهرة معينة تحديدا كميا ونوعيا بحيث يسهل التعرف عليها فيما بعد ومقارنتها بباقي الظواهر أو الأشياء الأخرى.
- البحث التجريبي: وهو البحث الذي يقوم على أساس الملاحظة والتجارب لاثبات صحة الفرضيات وذلك باستخدام قوانين علمية عامة، ويستعمل هذا النوع في مجال العلوم الطبيعية والتقنية.

ت. **التصنيف على أساس الاستعمال:** يصنف البحث العلمي على أساس الاستعمال إلى عدة مستويات:

1) المقالة (البحث القصير): يقوم بها الطالب خلال مرحلة اليسانس بناء على طلب أستاذته في المواد المختلفة، وتهدف إلى تدريب الطالب على تنظيم أفكاره وعرضها بصورة سليمة وعلى استخدام المكتبة ومصادرها، وقد لايتعدى حجم البحث عشر صفحات.

2) مذكرة التخرج (مشروع البحث): هذا البحث يطلب عادة كأحد متطلبات التخرج بدرجة الليسانس، وهو من البحوث القصيرة إلا أنه أكثر تعمقت من البحث القصير، ويتطلب من الطالب مستوى فكري أعلى ومقدرة أكبر على التحليل والمقارنة والنقد، والغرض منه تدريب الطالب على اختيار موضوع البحث وتحديد الإشكالية واختيار الأدوات المناسبة للبحث بالإضافة إلى تدريبه على طرق الترتيب والتفكير المنطقي السليم، وليس المقصود منه التوصل إلى ابتكارات جديدة أو إضافات مستحدثة ، بل تنمية قدرات الطالب في السيطرة على المعلومات ومصادر المعرفة والابتعاد عن السطحية في التفكير والتحليل.

3) **الرسالة أو المذكرة:** هي بحث يرقى في مفهومه عن المقالة أو مشروع البحث ويعتبر أحد المتطلبات لنيل شهادة الماجستير والهدف الأول منه أن يحصل الطالب على تجارب في البحث نحن إشراف أحد الأساتذة. وهو فرصة ليثبت الطالب سعة اطلاعه

وعمق تفكيره وقوته في النقد وتعالج الرسالة إشكالية يختارها الباحث ويحددها وضع افتراضاتها ، ويسعى للتوصل لنتائج جديدة لم تعرف من قبل ، ولهذا فالرسالة تحتاج إلى مدة زمنية طويلة نسبيا.

4) **الأطروحة**: هي بحث علمي أعلى درجة من الرسالة تهدف للحصول على درجة الدكتوراه ، فهذا البحث أصيل ، وتختلف الأطروحة عن الرسالة في أن الجديد الذي تضيفه للمعرفة والعلم يجب أن يكون أوضح وأقوى وأعمق وأدق ، وأن يكون على مستوى أعلى، وقد يمتد الزمن بالباحث لسنوات عديدة ، وتعتمد على مراجع أوسع وتحتاج إلى براعة في التحليل وتنظيم المادة العلمية ، ويجب أن تعطي فكرة على أن مقدمها يستطيع الاستقلال بالبحث بعدها دون أن يحتاج إلى من يشرف عليه أو يوجهه.

7. **متطلبات البحث العلمي الجيدة:**

يتميز البحث الجيد سواء كان أطروحة أو مذكرة أو بحثا بمجموعة من الخصائص والشروط أهمها:

- أن تتسم منهجية البحث بالتكامل والوضوح في الأهداف والحدود.
- ضرورة توافر إلمام كاف عند الباحث بموضوع البحث ومنهجيه المطلوبة.
- توفير وقت كاف عند الباحث للخوض في موضوع البحث.
- ضرورة اعتماد الباحث ذي المنهجية الجيدة على آراء أصيلة ومسندة.
- تأمين وصياغة عنوان واضح وشامل للبحث.
- وضوح وتشويق الباحث في كتابته لتقرير البحث.
- ينبغي أن يكون هناك ترابط وانسجام منطقي متسلسل بين أجزاء البحث.
- ضرورة إضافة موضوع البحث شيء إلى المعرفة في مجال التخصص.
- ضرورة توافر مصادر ومعلومات وافية عن مجالات موضوع البحث.
- ضرورة توفر الموضوعية بعيدا عن التحيز في الوصول إلى النتاج.
- ضرورة توافر الدقة في التعابير اللغوية والمصطلحات الفنية المتخصصة.